

## تحليل قصيدة القفال الشاشي في الرد على قصيدة نقفور ملك الروم

د. ثناء عياش

د. رائدة أخوزهيّة

الجامعة الهاشمية - الأردن

كلية الآداب

### الملخص:

يهدف هذا البحث إلى تحليل قصيدة القفال التي ردّ فيها على رسالة ملك الروم (نقفور) التي أرسلها إلى الخليفة العباسي (المطيع) يهدده باحتلال ديار المسلمين. وسعى القفال إلى التخفيف من أثر رسالة نقفور في نفوس المسلمين، ودحض أقواله بالحجة والبرهان. وتتميز قصيدة القفال بأهميتها التاريخية؛ لتضمنها ردًا على الإشارة الصريحة التي وردت في رسالة نقفور المتمثلة في اتخاذ الصليب شعارًا لحملته على ديار المسلمين، وامتدّرها برغبته في حماية دينه، وهذا هو الشعار الذي قامت على أساسه الحروب الصليبية فيما بعد.

### Abstract :

This research aims to provide an analytical reading of Al-Kaffal's poem in his reply to a letter that was sent by the King of the Romans in which he threatened the Abbasid Caliph, Al-Mutee', to occupy the lands of the Muslims. And also he tried to reduce the bad effects of Nakfour's letter in the Muslims' hearts and refuted his statements by proofs and evidence.

The poem was characterized by its historical importance in which it included a response to the clear reference contained in Nakfour's message who took the cross as a slogan to his campaign on the lands of the Muslims, and invoking the desire to protect his religion, and this is the slogan that is used as the basis of the Crusades campaign later.

## المقدمة

لموضوعات القصيدة أثناء حديثه عن شعر المناظرات في القرن الرابع الهجري، واستشهد ببعض أبياتها<sup>(8)</sup>. وحقق صلاح الدين المنجد<sup>(9)</sup> قصيدة القفال مع قصيدتي نقفور وابن حزم، ونشرها في كتاب معتمدًا في روايتها على ما جاء عند ابن كثير والسبكي. وقد اعتمدناه في الدراسة عند الاستشهاد بأبيات من قصيدتي نقفور والقفال. ولم نفع، على قدر ما بحثنا، على مصدر أجنبي درس قصيدة القفال الشاشي؛ إذ اكتفت تلك المصادر بإيراد خبر إرسال نقفور رسالته إلى الخليفة العباسي، ورد القفال وابن حزم عليها<sup>(10)</sup>.

أما هذا البحث فإنه يعنى بتقديم دراسة جمالية لقصيدة القفال الشاشي في الردّ على رسالة نقفور، ويسلط الضوء على رسالة نقفور لتضمنها إشارات صريحة للأهداف السياسية والاقتصادية التي قامت عليها الحروب الصليبية فيما بعد، وبهذا يكون الأدب قد تنبّه إلى إرهابات الحروب الصليبية في هذه الفترة المبكرة.

## مقدمة القصيدة

افتتح القفال قصيدته بالرد على قصيدة نقفور بقوله:

أتاني مقالٌ لامرئٍ غيرِ عالمٍ  
بطُرقٍ مجاري القولِ عند التّخاضِ  
تخرّص ألقاباً له جدّ كاذبٍ  
وعدّد آثاراً له جدّ واهمٍ  
وأفرط إرعاداً بما لا يُطيقُه  
وأدلى ببرهانٍ له غير لازمٍ

اعتلى نقفور فوقاس<sup>×</sup> عرش بيزنطة في عام 352هـ/963م، وبعد توليه العرش أرسل قصيدة<sup>1</sup> نظمها له بعض كتّابه<sup>(1)</sup> إلى الخليفة العباسي المطيع<sup>×</sup> 253هـ/867م؛ ليهدده ويتوعده بالاستيلاء على بقية العالم الإسلامي؛ ليقطع الإسلام ويحل محله المسيحية<sup>(2)</sup>. وذكره بانتصارات الروم على المسلمين، وكان لهذه القصيدة أسوأ الأثر في نفوس المسلمين؛ لذا سماها ابن كثير بالقصيدة الأرمينية المخذولة الملعونة<sup>(3)</sup>.

وعلى الرغم مما في القصيدة من التثريب والتعيير وضروب الوعيد والتهديد، كما يقول السبكي<sup>(4)</sup> إلا أنه لم يتصدّ للرد عليها إلا القفال الشاشي<sup>×</sup> 365هـ/975م، وابن حزم 456هـ/1063م حين بلغته بعد عدة أعوام<sup>(5)</sup>، وعلل ابن كثير امتناع أدباء ذلك العصر عن الرد عليها: "إما لأنها (القصيدة) لم تشتهر، وإما لأنه أقل من أن يردوا خطابه لأنه كالمعانَد الجاحد"<sup>(6)</sup>.

وأورد السبكي، قصيدة نقفور، وأتبعها برد القفال عليه، وبين أن عبد الملك بن محمد الشاعر<sup>×</sup> هو الذي نقل خبر رد القفال، وأخبر عن إعجاب أحبار قسطنطينية بها، بقولهم بعد سماعها: "ما علمنا أن في الإسلام رجلاً مثله"<sup>(7)</sup>. وبذا يتضح أن تاج الدين السبكي وابن كثير (من القدماء) تفردا بذكر قصيدة نقفور، وقصيدة القفال وابن حزم في الرد عليها، أمّا من المعاصرين فقد قدّم نصرت عبد الرحمن ملخصاً

× لم يكن نقفور نصراني الأصل، وإنما هو من ولد رجل مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن القفاس تنصر، وكان ابنه هذا شهياً، شجاعاً، حسن التدبير لما يتولاه. فلما عظم أمره وقوي شأنه قتل الملك الذي كان قبله. وكان نقفور شديداً على المسلمين، أخذ حلب أيام سيف الدولة فعظم شأنه عند الروم، وجعل همه الاستيلاء على بلاد المسلمين. توفي عام 359 هـ. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1987، (7/320)، Morris. R. The Two Faces of Nikephoros Phokas. BMGS. 1988.12: 83-115.

×× الفصل بن المقتدر، ولي الخلافة عام 334 هـ، وفي عهده ازداد أمر الخلافة إدباراً. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (7/207-208).

×× هو محمد بن علي، ولد سنة 291 هـ، كان إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين، وفقهياً محدثاً لغوياً شاعراً، وهو أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء، توفي سنة 365 هـ. السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ط 1، 1965، (200-205).

××× خرج مع القفال وجّع من أهل خراسان وما وراء النهر لغزو الروم عام النفر، وأسر بعد وصول جواب القفال. ولمزيد من التفاصيل ينظر: السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية، (205).

متحدثاً بضمير المتكلم (أتاني) - على الرغم من أن المخاطب بقصيدة نقفور الخليفة - ليبين أن كل مسلم غيور على دينه معني بمواجهة خطر نقفور وتهديده، وتحدث عنه بصيغة الغائب (لامرئ) للتقليل من شأنه وتهديده، ووصفه بالجهل بفنون الجدل والمعارضة (غير عالم بمجاري القول عند التخاصم)، ثم بالخرص؛<sup>١٣</sup> لأنه نسب إلى نفسه إنجازات الآخرين، بل إنه بالغ في التهديد والوعيد بما لا يستطيعه.

ونفى عنه ادعاءه الطهارة التي أغدقها على نفسه في مطلع قصيدته :

من الملك الطُّهر المسيحي مألُّك

إلى خَلَف الأَخْلَافِ من آل هاشمٍ  
مؤكدًا ملازمة صفة النجاسة لنقفور بقوله:

تسمي بطهر وهو أنجس مشرك

مدنسة أثوابه بالمداسم  
مستعينا بالجملة الفعلية "تسمي بطهر" لدالتها على التغير وعدم الثبات، وبالصيغة الصرفية (تفعل) الدالة على التكلف، ووظف الجملة الاسمية (وهو أنجس مشرك) لدالتها على الديمومة والثبات لتأكيد كلامه، مستحضرًا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: 28]. وأخير باسم التفضيل (أنجس) للدلالة على بلوغ نقفور أعلى درجات النجاسة، وبهذا يجسم نجاسة روح خصمه، فيجعلها ماهيته وكيانه<sup>١٤</sup>، وفي توظيفه الكناية (مدنسة أثوابه بالمداسم)، تأكيد لنجاسة أفعاله، فالعرب يكتون عن تدنس بمذاق الأخلاق بـ(دسم الثوب)<sup>١٥</sup> أي دنس الثوب.

ويرى القفال أن نقفور خرج عن تعاليم الدين المسيحي بافتخاره بأعمال تتنافى مع المسيحية

الحقة، فقال معرضاً به:

وقال مسيحي وليس كذاكم

أخو قسوة لا يحثذي فعل راحم  
وغرض تنكير كلمة (مسيحي) التقليل من شأنه، ووصفه بـ(أخو قسوة) ليرز مخالفته لتعاليم المسيحية التي نصت على الرحمة في مواضع عدة في الكتاب المقدس كما في قول عيسى - عليه السلام - : "إني أريد رحمة لا ذبيحة"<sup>١٦</sup>، وقوله: "أما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيك"<sup>١٧</sup>.

### نقفور والحروب الصليبية

هدد نقفور في رسالته التي استغرقت سبعين بيتاً الخليفة المطيع بالاستيلاء على بلاد المسلمين، وصرح أن هدفه من مهاجمة ديار المسلمين، هو نشر المسيحية في الشرق والغرب، في قوله:

سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً

وأشتر ديناً للصليب بصارمي

وفي سبيل تحقيق هدفه هذا حرص على أن يصطبغ حربه مع المسلمين بصبغة دينية مقدسة<sup>١٨</sup> فطلب من رجال الدين اعتبار العساكر المسيحيين الذين يحاربون المسلمين شهداء<sup>١٩</sup>، ولولا أن البطريك بوليكتس أعلن معارضته لهذا القرار<sup>٢٠</sup> لكانت الحروب الصليبية قد بدأت قبل بدايتها الحقيقية بألف عام وما يزيد؛ فمن المعروف أن البابا أوربان الثاني × أعلن بداية الحروب الصليبية، وجعل الهدف الديني باعثاً رئيسياً لها، ورغب الناس في المشاركة فيها، فوعد بالغفران الكنسي والشهادة كل من يخرج لحرب الشرق<sup>٢١</sup> وبهذا نجح في تطبيق

× أقبح أنواع الكذب، ابن منظور، لسان العرب، مادة (خرص).

× × × ولد عام 1035م، درس على يدي القديس برلو، وصار راهباً عام 1068م، والتحق بخدمة البابا المؤمن إيماناً راسخاً بتفوق البابوية على الامبراطورية، ثم عين كاردينالاً أسقفًا لاوستيا في عام 1080م، وفي عام 1099م انتخب في جنوب روما، وحمل اسم أوربان الثاني. عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية / العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12 - 13م، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط 1، 1999-2000، (62-63).

## احتلال المدن

سرد نقفور في قصيدته مجموعة من أسماء المدن التي استطاع الروم الاستيلاء عليها، وفي هذا دليل على قدرته على تحقيق ما هدد به، كما يتضح من قوله:

وصَبَحَ رَأْسَ الْعَيْنِ مِنَّا بِطَارِقٍ  
بِبيض غزوناها بضرب الجماجم  
وداراً، وميَّافارقين، وأرزنا  
أَذَقْنَاهُمْ بِالْخَيْلِ طَعْمَ الْعَلَاقِمِ  
هناكَ فَتَحْنَا عَيْنَ زَرْبَةٍ عَنَوَةٍ  
بهم، وأبدنا كلَّ طاغ وظالم

واختار كلمة (الجماجم) ليعبر عن قوة جيشه الذي لا يضرب الخصم إلا في مقتله، وشبه الهزيمة التي حلت بالمسلمين بالعلقم ليدل على شدتها وعظمتها. وأظهر نفسه بصورة المخلص، الذي فعل ما فعل في سبيل تأديب الظلمة من المسلمين بإبادتهم والقضاء عليهم، بدليل قوله (وأبدنا كل طاغ وظالم) ودلّ جمعه للكلمتي (طاغ، وظالم) على انتشار الظلم في ديار المسلمين، وكشف قوله (بضرب الجماجم، وأذقناهم بالخيول طعم العلاقم، وأبدنا) على إدراكه لأهمية الحرب النفسية في إضعاف الروح المعنوية لخصمه قبل خوض المعركة.

وَأَنْطَاكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَيَّ وَإِنِّي  
سَأَفْتَحُهَا يَوْمًا بِهَتَكِ الْحَارِمِ  
سَأُلْقِي جِيوشاً نَحْوَ بَغْدَادِ سَائِراً  
إِلَى بَابِ طَاقٍ حَيْثُ دَارُ الْقُمَاقِمِ  
وَكِرْمَانِ لَا أُنْسَى سِجِسْتَانَ كُلِّهَا  
وَكَايِلَهَا النَّائِي وَمَلِكِ الْأَعَاجِمِ  
وَأَغْزُو يَمَانِيَا كُلِّهَا وَزَبِيدَهَا  
وَصَنَعَاءَهَا مَعَ صَعْدَةِ وَالتَّهَائِمِ

وبلغ الفخر بنقفور حداً جعله يصرّح بخطته الحربية في الاستيلاء على مدن المسلمين،

فكرة نقفور، وعمل بخلاف ما دعا إليه البطريك بوليكتس، واتخذ من عقوبة الحرمان من تأدية الشعائر وسيلة لدفع الناس للخروج<sup>(19)</sup>.

ولم يكتف نقفور بذلك، فكان يصطحب معه البطارقة والقساوسة، في حملاته ضد المشرق الإسلامي، ويضعهم في مقدمة جيشه، وكان جنوده يحملون الصلبان الكبيرة، وفي هذا دليل على فكرة أن الحروب الصليبية كانت الرائد الجوهري لنقفور في حملاته، وحذا حذوه البابا أوربان الثاني، فيما بعد، باختياره أحد الأساقفة ليكون مندوباً عنه في مرافقة أولى الحملات الصليبية<sup>(20)</sup> لإيجاد غطاء كنسي لها.

وأفصح نقفور عن أهدافه الصليبية حين تسلّم طرسوس، وصعد على منبرها، وسأل الروم من حوله: "أين أنا؟ قالوا: على منبر طرسوس، فقال: لا، بل أنا على منبر بيت المقدس، وهذه البلدة التي كانت تمنعكم من بيت المقدس"<sup>(21)</sup>. وبهذا يتضح أنه يهدف إلى الاستيلاء على بيت المقدس، ونشر المسيحية، وهذا ما سعت إليه الحروب الصليبية التي كانت "حروباً دينية استهدفت عن طريق مباشر أو غير مباشر الاستيلاء على الأراضي المقدسة بالشام"<sup>(22)</sup>.

كما كشف نقفور عن الهدف الاقتصادي للحروب الصليبية في أثناء تعاده للمدن التي يريد احتلالها بقوله:

وَأَحْرَزُ أَمْوَالاً بِهَا وَأَسْرَةً  
وَأَقْتُلُ مَنْ فِيهَا بِسَيْفِ النِّقَائِمِ  
وَأُحْوِي أَمْوَالَ الْيَمَانِينَ كُلِّهَا

وما جمع القرماط يوم محارم

فقال:

فالأفعال المضارعة (سأفتحها وسألقي وأغزو) تكشف عما ينوي فعله مستقبلاً، وفي الوقت ذاته صوّرت ضعف الخليفة الذي شجّع خصمه على إعلان نواياه، والتهديد باحتلال بغداد عاصمة الخلافة، محددًا الجهة التي سيدخل منها (باب طاق حيث دار القمام) ولا يمكننا إغفال الحرب النفسية التي مهّدت لما سيفعله بقوة السلاح. وأبرزت الأبيات السابقة مدى اعتداده بقوته وجيشه، وبيّنت أن البعد الجغرافي لن يحول بينه وبين ما يسعى إلى تحقيقه. وطالب نقفور المسلمين بالانسحاب إلى الحجاز، وترك بلاد العراق والشام ومصر لأصحابها القدامى من البيزنطيين، في قوله:

وعودوا إلى أرض الحجاز أدلّة

وخلّوا بلاد الروم أهل المكارم  
وافتح كلامه بفعل الأمر (عودوا) للدلالة على أنه لا يقيم وزناً لخصمه، وهذا ما دفعه للتهديد بأخذ دمشق وبيت المقدس، في قوله:

وَمَسْكُنْ أَبَائِي دِمَشْقُ فَإِنَّنِي  
سَأَرْجِعُ فِيهَا مُلْكُنَا تَحْتَ خَاتَمِي  
أَعُوذُ إِلَى الْقُدُسِ الَّتِي شَرَفْتُ بِنَا

بعزّ مكين ثابت الأصل قائم  
مشيراً إلى الفترة التي كانت الدولة البيزنطية تحكم فيها بلاد الشام والقدس، وما سيفعله هو-الآن- من باب استرداد إرث الآباء، وجاء التوكيد في (فإنني) ليثبت عزمه على استرداد البلاد التي حكمها أسلافه، وهو بهذا يقلب الحقائق؛ فيبين أن المسلمين هم المعتدون لإخراجهم الروم من بلاد الشام، ويستمر في تشويه الحقائق فيدعي أن بيت المقدس حق لهم، ويشرف بهم لا بالمسلمين. ولم يكتف بذلك، بل تطلع إلى اجتثاث الإسلام، بتهديده باحتلال مكة رمز المسلمين الديني، بعد التهديد بالاستيلاء على واسط في قوله:

وأخرج منها نحو مكة مسرعاً  
أجرّ جيوشاً كالليالي السواجم  
فأملكها دهرًا عزيزاً مُسَلِّماً  
أُقيم بها للحق كُرسِيَّ عالم  
هنالك تخلو الأرض من كل مُسلم  
لكل نقيّ الدين أغلف زاعم  
متكئاً على الصورة الحسيّة البصريّة بتصويره  
لجيشه الضخم الزاحف نحو مكة، بالليالي المتتابة الطويلة، وكشف جمعه لـ (الليالي السواجم) عن تعظيمه من شأن جيشه؛ ليهابه المسلمون.

وهو يسعى بتهديده بالاستيلاء على مكة إلى إذلال المسلمين إدراكاً منه لمكانتها الدينية عندهم؛ وبذا يكون قد جرّد المسلمين من مصدرين من مصادر قوتهم الدينية (مكة والقدس) وفي قوله (هنالك تخلو الأرض من كل مسلم) تصريح بحقيقة نواياه.

ولم يقف إذلال نقفور للمسلمين عند تجريدهم من أماكنهم المقدسة، بل أراد النيل من رموز البطولة والشجاعة عندهم؛ لذا سلّط الضوء على هزيمة سيف الدولة في حلب عام 351 هـ، وفراره عنها بعد أن قتل نقفور أكثر أهل بيته، وظفر بأمواله وكنوزه وأسلحته، وخرب داره<sup>(23)</sup>. في قوله:

وقد فرّ عنها سيف دولة دينكم  
وناصرُكم، منّا على رَغْمِ راعم  
ودافعه إلى هذا إضعاف الروح المعنويّة لخصمه ليسهل السيطرة عليه، ولتجريد المسلمين من مصادر قوتهم، فعلام يعولون عند خوض المعركة مع قائد فارّ؟

## إنجازات المسلمين

تصدى القفال للرد على نقفور فيما افتخر به، وبذا بدت القصيدتان كأنهما مناظرة جرت بين الرجلين، بدأها نقفور بالفخر بانتصاراته ورد القفال عليه بالمثل، للتقليل من قيمة إنجازات خصمه، وللتخفيف من أثر تهديده، وليعيد التوازن إلى النفوس التي ضعفت، فبين أن انتصارات نقفور اعتمدت على الغدر كما حدث بالمصيصة التي غدر بأهلها حين علم بضعفهم بعد أن أمنهم<sup>(24)</sup>، كما يتضح من قوله:

وَمَصِصِيصَ بِالْغَدْرِ قَتَلَتْ أَهْلَهَا

وذلك في الأديان إحدى العظائم ولم يكتف نقفور بأخذ المصيصة غدرًا، وإنما ارتكب فيها مجزرة كما يبدو من الفعل المضعف (قَتَلَتْ) الدال على كثرة القتل. وفي هذا دليل على سوء الخلق وفي الوقت ذاته مخالفة لتعاليم المسيحية، ولا يلجأ إلى هذه الطريقة إلا جبان يخاف الهزيمة، كما يفهم من أسلوب القصر (وهل ذاك إلا من مخافة هازم) في قوله:

وما الفخرُ في رُكُصٍ على أهلِ غِرَّةٍ

وهل ذاك إلا من مخافة هازم وجاء الاستفهام الإنكاري للإقرار بجبن من يغدر، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يتضمن استهزاء بالذي اتخذ من الغدر وسيلة لاحتلال المدينة بدلًا من المواجهة.

واستغل القفال سلاح الدعاية من أجل تحقيق الأهداف وتحطيم الروح المعنوية للخصم، فافتخر بالانتصارات العديدة التي حققها المسلمون قائلاً:

تَرَى نَحْنُ أَلَمْ نُوقِعْ بِكُمْ وَبِلَادِكُمْ

وقائعٌ يُثْنَى ذِكْرُهَا فِي الْمَوَاسِمِ

مِثْنِ ثَلَاثًا مِنْ سَنِينَ تَتَابَعَتْ

نَدُوسُ الذُّرَى مِنْ هَامِكُمْ بِالْمَنَاسِمِ

وجاء تنكير كلمة (وقائع) وجمعها لتصوير ضخامة

إنجازات المسلمين، تاركًا لإيجاز القصر (وقائع يثنى ذكرها في المواسم) تصوير عظمتها. وجاء الاستفهام (ألم) للتعجب من إنكار نقفور لهذه الإنجازات. وكشف الفعل (تتابعت) عن توالي الانتصارات مما يدل على ضعف الروم، وعدم قدرتهم على التصدي لقوة المسلمين. ونزع القفال إلى الاستعارة في قوله (ندوس الذرى من هامكم) لإنتاج مشهد المهانة، معبرًا بصورة حسية بصرية حركية تبرز حالتين متقابلتين للروم: الأولى تُفهم ضمناً، والثانية تظهر جلية في النص. فأما الأولى، فترسم صورة الأعداء قبل الهزيمة، متمثلة بالرؤوس المرفوعة، كما يتضح من استخدامه لكلمتي (الذرى وهامكم)، مطابقاً بين أعلى عضو في جسم الإنسان وأشرفه، وبين أخفض عضو فيه لإبراز التباين بين الحالين، واختار الهامة لأنها رمز الرفعة، وإذا دبست فقدت كل ذلك، لذا جاء الفعل (ندوس) للكناية عن الذل الذي لحق بالأعداء بفعل الهزيمة، كما أن الدوس يعبر عن قوة المسلمين الذين استطاعوا تحقيق النصر على أعدائهم. وأما الصورة الثانية فترسم صورة الأعداء بعد الهزيمة، متمثلة بالرؤوس المداسة، وقد استبدلت بالعزة الذل، وأسهم الفعل المضارع (ندوس) في استحضار القارئ للمشهد وكأنه يراه ماثلاً أمامه، وأبرزت (مناسم) قوة المسلمين وقدرتهم على سحق أعدائهم، فالدوس بالأخفاف يعني أن يضغط الحيوان بثقله كاملاً على جسد المداس عليه، وبذا يجتمع الألمان: ألم الدوس، وألم الذل.

ولا يمكننا إغفال أن القفال وقع فيما أخذه على نقفور، وهو فخره بإنجازات من الماضي، بدليل قوله: (مِثْنِ ثَلَاثًا مِنْ سَنِينَ تَتَابَعَتْ) وهذا يكشف عن شدة وطأة الحدث عليه، فهو كان مضطراً للرد على خصمه وبأسرع وقت، وبخاصة إذا ما تذكرنا أن رسالة نقفور جاءت لتمهيد لحملة الجديدة على ديار المسلمين.

واستمر القفال بتقديم صور مؤثرة عن انتصارات المسلمين التي أغفلها نقفور عن قصد، فقال: فمَنكُم أخذنا كلَّ ما قد أخذتُم

وأضعاف أضعاف له بالصَّامِصِ  
طرَدناكُم قهراً إلى أرض رومكُم  
فطرَتم من السَّاماتِ طَرَدَ النَّعائمِ  
لجأتُم إليها كالقنفاذ جُثَمًا

أدلاهم عن حُفِّهِ كلَّ حاطِمِ  
مستعينا بـ(كل) الدالة على العموم، وبالتوكيد الناتج عن قد والفعل الماضي، ومتكئاً في رسم لوحته السابقة على الأفعال (أخذنا، وطرَدناكم، وطرَتم، ولجأتُم) الدالة على تتابع الأحداث، ولخصت الصورة الحركية الصوتية نتيجة المعركة التي انتهت باسترداد المسلمين لمدهم، كما يتضح من كلمة (أضعاف) التي يدل تكرارها على تعظيمه لإنجازات المسلمين التي تمكنوا بها من طرد الروم بقوة السلاح بدليل قوله (قهرًا). لا كما فعل نقفور بالغدر أو ارتكاب المجازر، أو الأخذ على حين غرة.

وصوّر الروم وهم يفرّون من ساحة القتال بصور حركية لا تخلو من السخرية، مستمدة من عالم الطيور، فشبَّههم بالنعام والقنفاذ التي تفرّ مولية هاربة مستغلاً ما ينماز به كل منهما من سرعة، وكشفت كلمة (جثما) عن الذل الذي لحقهم، إذ لجؤوا إلى الجبال خوفاً وجبناً. ورغم قدرة المسلمين على اللحاق بهم هناك، والنيل منهم، إلا أنهم لم يفعلوا ذلك؛ التزاماً بوصايا الرسول بعدم الغدر والمبالغة في القتل، كما يتضح من قوله:

ولولا وصايا للنبيِّ محمدٍ  
بكم لم تنالوا أَمَنَ تلك المجاثمِ  
مستوحيا مضمون قوله- عليه السلام-: "أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا"<sup>(25)</sup> وبذا انماز المسلمون عن

أعدائهم في أخلاقهم وتعاملهم، كما يتضح من قوله: ولكن كَرَمنا إذ ظَفَرنا وأنْتُم ظَفَرْتُم فكنتم قُدوةً للألأم

متكئاً على المقابلة ليقدم صورتين متباينتين للفريقين عند الانتصار، متخذاً من إيجاز القصر في قوله (كرمنا وقُدوةً للألأم) وسيلة لرسم الصورتين: الصورة المشرقة التي تبرز رفق المسلمين في معاملة عدوهم، تقابلها صورة الروم التي هي على النقيض من ذلك. وشتان بين الصورتين: صورة من يعفو عند المقدرة، وصورة من يستغل ضعف ضحيته للتكيل بها.

ولم يقتصر القفال على تعداد إنجازات المسلمين، بل رد الاعتبار إلى سيف الدولة ببيانه أن الهزيمة التي حلت بجيشه لا تنسي انتصاراته العديدة على الروم؛ لذا فهو يستحق الثناء والدعاء له، كما اتضح من قوله:

جزى الله سيفَ الدولةَ الخيرَ باقياً  
وأكرمه بالفاضلات الكرائمِ  
واستثمر القفال انتصارات منصور بن نوح× للرد على خصمه، وفي الوقت ذاته؛ لرفع الروح المعنوية للمسلمين في قوله:

لقد أسلَمتُ بالشرِّقِ هَندٌ وسَنَدُها  
وصينٌ وأتراكَ الرجالُ الأعاجمِ  
بتدبير منصور بن نوح وجنده  
وأشياخه أهلِ النُّهى والعوائمِ  
وعزا أسباب نجاح منصور في تلك المناطق، إلى حكمته وقيادته، والعقول الراجحة المحيطة به.

وتضافرت الاستعارة مع إيجاز القصر في قوله: وألبَسَ منصورُ بنَ نوحٍ سلامَةً  
تدوّمُ له ما عاش أدوّمَ دائِمِ  
لتعبّر عن مدى امتنانه من صنيع منصور، وذلك

× منصور بن نوح الساماني أمير ما وراء النهر. وكان مقر الإمارة السامانية في بخارى. توفي سنة 366هـ.



نقفور لم يؤثر فيهم، والدليل لم يقعد أحد من أهل خراسان عن القتال، كما يفهم من توظيفه للمجاز العقلي في (أتتك خراسان). وبإسناده الحدث إلى المكان وليس إلى أهله، مبالغة في تصوير عظمة الحدث.

### مشهد الأسرى

أطال نقفور الوقوف عند مشهد الأسرى، وبخاصة مشهد الأسيرات المسلمات، إمعاناً في إذلال المسلمين وإدراكاً منه لما يعنيه أسر النساء عندهم، فقال:

وملنا على طرسوس ميلة حازم  
أذقناهم فيها بحر الحلاقم  
فكم ذات خدر حرة علوية  
منعمة الأطراف، رياء المعاصم  
سبينا فسقنا خاضعات حواسراً

بغير مهور، لا، ولا حكم حاكم مفتتحاً بيته الثاني بـ"كم" التكثرية، للدلالة على كثرة ما أسر من النساء، وقدم مشهداً مؤثراً وصف فيه حال الأسيرات، راسماً في مشهده هذا صورتين متقابلتين: سلطت أولهما الضوء على حياة الأسيرات قبل وقوعهن في الأسر، مكنياً عن مظاهر الترف والنعيم التي كنّ يتمتعن بها بقوله (ذات خدر منعمة الأطراف رياء المعاصم). ويكتمل مشهد أسر النساء برسم الصورة المقابلة بعد وقوعهن في الأسر (سبينا فسقنا خاضعات حواسراً)، وتبرز المقابلة عظم المصاب، إذ شتان ما بين الصورتين. وتلعب الحرب النفسية في الصورة الثانية دوراً كبيراً، إذ تركز على حال النساء وهنّ في الأسر، وقد تبدلت حالهن من العزة إلى الذل، فالفعل (سقنا) يدل على استلاب الإرادة والإذلال معاً، وتم قول (حواسر) صورة الذل التي حرص على إبرازها في أبياته السابقة.

وإذا كانت الحجة بالحجة، فلا بأس من فخر القفال بما فعله المسلمون في سبايا الروم في قوله: وعظمت من أمر النساء عندنا

بتجسيده للسلامة بالثياب التي تلازم صاحبها، وتحفظه، وأفصحت ألفاظ (تدوم وأدوم ودائم) عن تمنيه مرافقة السلامة له، وعبر بالفعل المضارع (تدوم) للدلالة على استمرارية ملازمة السلامة له لعظيم صنعه.

ولم ير القفال فيما قاله نقفور أكثر من أحلام وأمان: وعددت بلداناً تريد افتتاحها

وتلك أمان ساقها حلم حالم  
فلإسلام أنصار اختارهم الله ليدافعوا عنه:  
فللحق أنصاراً ولله صفوة

يذودون عنه بالسيوف الصوارم  
وما استعانت به بالجملة الاسمية (للحق أنصار والله صفوة) إلا لبيان أن نصرة الله للحق مبدأ ثابت، ولكنه متجدد بتجدد عمل القائمين به، والموجودين في كل زمان ومكان، كما يفهم من استخدامه للفعل المضارع (يذودون). وكأن القفال بقوله هذا يرنو إلى قول الرسول-عليه السلام-: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ"<sup>(26)</sup>، وفي تنكيده (طائفة، وأنصار، وصفوة) بيان أن نصرة الإسلام واجب على كل مسلم، وهذا ما كشف عنه قوله:

فمن عرب غلب ملوك بغالب  
ومن عجم صيد ملوك بهازم  
فبالدين منهم قائم أي قائم  
وللملك منهم هاشم أي هاشم

وما نجدة أهل خراسان لأهل الشام، إلا دليل على صحة كلامه، فهم خرجوا من ديارهم لقتال نقفور كما صور في قوله:

أتتك خراسان تجرّ خيولها  
مُسومةً مثل الجراد السوائم  
معتمداً على الصورة الحسية الحركية البصرية السمعية، بتشبيه الخيول المُسومة المرسلة، وعليها ركبانها بالجراد السوائم. وفي هذا تأكيد بأن تهديد



فَإِنِّي عَمَّا هَمَنِي غَيْرُ نَائِمٍ  
ورسم صورتين متقابلتين، أبرز من خلالهما التباين  
بين حال الخليفة وامبراطور الروم. تمثلت الأولى في  
قوله (ولكن دهاك الوهن، فإن تك عما تقلدت نائماً)،  
فالمطيع ضعف بسلطة البويهيين، وتمثلت الثانية في  
قوله (فعل حازم، فإنني عما همني غير نائم).

ولم يكتفِ بالسخرية من رمز السلطة عند المسلمين  
بل أتبعه بالسخرية من الرعية، لأنهم رضوا بحكم  
مَنْ كان عبداً عندهم يوماً في قوله:  
رَضِئْتُمْ بِحُكْمِ الدَّيْلَمِيِّ<sup>×</sup> وَرَفِضِهِ

فَصَرَّتُمْ عبيداً للعبيد الديالم  
وكشف استخدامه للفعل (صرتم) عن تبدل حال  
المسلمين، فبعد أن كانوا سادة فيما مضى، أصبحوا  
الآن عبيداً للعبيد.

وبين نقفور أن فساد الأجهزة في الدولة لعب دوراً  
في إضعافها مما سهّل على الروم السيطرة عليها،  
فالقضاة رموز العدل اتخذوا من الرشوة سبيلاً  
للحكم، فقال:

قُضَاتُكُمْ باعُوا الْقَضَاءَ بدينهم

كَبِيعَ ابن يعقوب ببخس الدراهم  
عدو لكم بالزور يشهد ظاهراً

وبالإفك والبرطيل مع كل قائم  
وهذا يدل على اطلاعه على حقيقة ما يجري في ديار  
المسلمين، وشبه القضاة الذين باعوا دينهم بإخوة  
يوسف- عليه السلام- الذين باعوه بأبخس ثمن،  
وفي هذا دليل على معرفته بثقافة المسلمين الدينية.  
ولا غرابة في ذلك، إذا ما عرفنا أن أبا نقفور كان  
عربياً مسلماً من أهل طرسوس يعرف بابن الفقاص،  
لكنه تنصر<sup>(27)</sup>.

ولعل من المفارقات أن ينجح نقفور في تشخيص نقاط  
ضعف المسلمين، ثم يواجههم بها صراحة؛ لذا لم

لَكُمْ أَلْفُ أَلْفٍ من إماء وخادم  
ومع أن العدد (ألف) يدل على الكثرة إلا أنه كرّره  
للكناية عن ضخامة أعداد أسرى الروم، والمبالغة في  
هذا السياق من باب الحرب النفسية لينال من نقفور.  
ونكر كلمة (إماء) للتحقير، وذلك بوصفه النساء  
الأسيرات بالجواري، وجمعها للتكثير. وأضاف إلى  
فخره هذا فخراً بأسر الرجال الذين أصبحوا خدماً  
عند المسلمين، وفي هذا زيادة في إذلال خصمه؛ فأسر  
نساء المسلمين يعد إنجازاً لا قيمة له أمام أسر رجال  
الروم، وصوّر نقفور المسلمين عاجزين عن استرداد  
أسراهم، وكان يجدر بنقفور- برأي القفال-  
المبادرة إلى تحرير أسراهم، أو مبادلتهم مع أسرى  
المسلمين، قبل التهديد باحتلال بلاد المسلمين.

### أسباب انتصار الروم

شخص نقفور في رسالته أسباب انتصار الروم على  
المسلمين في قوله:

نُصِرْنَا عليكم حين جارتْ وَلَاتُكُمْ

وَأَعْلَنْتُمُو بالمنكرات العظام

عارضاً واقع الأمة الإسلامية، موظفاً الفعل  
(نُصِرْنَا) المبني للمجهول، ليبين أن أسباباً أخرى  
غير قوتهم هيأت لهم النصر، بادئاً بالأهم منها ثم  
تدرج إلى الأدنى، فحين فسد رأس الدولة دب الفساد  
في جسدها. فضعف الخليفة المطيع ساعد على تملك  
البويهيين الأمر، إذ كان الخليفة اسماً على المنبر  
فقط، حتى سخر منه نقفور، وواجهه بضعفه  
وعجزه- ناسياً أنه يخاطب خليفة المسلمين (رمز  
السلطة)- كما صوّره قوله:

أَمَا سَمِعْتَ أَذْنَاكَ مَا أَنَا صَانِعٌ

ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم  
فإن تك عما تقلدت نائماً

× الديلمي هو معز الدولة أحمد بن بويه الذي سيطر على الخليفة المطيع في بغداد. أما الديالم فهم البويهيون، وهم أقوام فارسية سكنوا بجانب قبائل الديلم القاطنة شمال بلاد فارس، وعملوا كمرتزقة في جيوش الأمراء المتصارعين والمتنافسين على أقاليم فارس قبل أن يتمكنوا من إخضاع بلاد فارس وبغداد لحكمهم.

التباين بين حالين: حال من لازمته الخسارة (فأنتم على خسر) حتى لو حقق إنجازاً مؤقتاً، وحال من لازمه الفضل (ونحن على فضل) وإن أخفق في مرحلة ما، وهذا دليل على تفاؤله وأمله؛ ولذا صدر قوله:

ونرجو وشيكاً أن يسهّل ربُّنا

لردّ خوافي الرّيش تحت القَوايم  
ونرجو بفضّل الله فتحاً مُعجلاً

ننالُ بقسطنطين ذات المحارم  
بالرجاء، وهو طلب حصول الأمر المحبوب الذي لدى المتكلم طمعا في حصوله <sup>(29)</sup>، لذا كرره مرتين، كما أنه استعان بالاحتباس (بفضل الله) ليبين أنهم يستمدون العون من الله سبحانه وتعالى.

وتضمن قوله السابق صورتين متقابلتين، ظهرت إحداهما في النص، والأخرى فُهِمت منه ضمناً. الأولى: بتشبيهه المسلمين بالطائر العاجز الذي لا يستطيع استخدام خوافي ريشه وقوامه للطيران، وفي ذلك كناية عن فرقة المسلمين، وأمّا الثانية، فتمثّلت في الطائر بعد أن تعافى، وأصبح قادراً على الإقلاع بقوة قوامه، ودعم خوافيه، وفي ذلك كناية عن قدرة المسلمين مجتمعين على النهوض من كبوتهم، بعد أن يتفضل الله عليهم بالعون.

ويرجو القفال أن يكون النصر وشيكاً، لتحقيق البشارة النبوية بفتح القسطنطينية "لتفتح القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" <sup>(30)</sup> وهو يدرك أن القسطنطينية مدينة حصينة، استعصت على كثير من القادة، لذا وصفها بـ "ذات المحارم"، وفي جمعه للمحارم دلالة على قوتها. كما أنه نكر كلمة (فتحاً) للتعظيم من شأن هذا الإنجاز، وأسماء فتحاً لأن لكلمة الفتح ظلالاً إيجابية توحى بالراحة والطمأنينة، وتيمناً بما ورد في كلام الرسول لعلّه بهذا يعيد التوازن النفسي المفقود بسبب توالي حملات الروم. وبتمنيه فتح

يستطع القفال أن ينكر ما قاله نقفور، وأقرّ بفساد السلطة قائلاً:

وَقُلْتُ مَلَكْنَاكُمْ بِجَوْرِ قُضَائِكُمْ

وبيعهم أحكامهم بالدرهم

وفي ذاك إقراراً بصحة ديننا

وأنا ظلمنا فابتلينا بظالم  
وصور إيجاز القصر في الشطر الثاني عموم الظلم في ديار المسلمين، ودلت الجملة الاسمية (وأنا ظلمنا) على أن الظلم بات حالة ملازمة لديارهم، وجاءت الغاء في (فابتلينا) لتدل على سرعة العقوبة التي حلت بهم لظلمهم، والمتمثلة في ظالم مثل نقفور. ولعله استوحى ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: 129] [الأنعام: 129] فالله - سبحانه وتعالى - يسلط بعض الظلمة على بعض فيهلكه ويذله. وفي هذا تهديد للظالم بأن الله سيسلط عليه ظالماً آخر، إن لم يتوقف عن ظلمه. وفي الحديث: "كما تكونوا يولى عليكم" <sup>(28)</sup> والمسلمون ظلموا بعضهم بعضاً فسلط الله عليهم ظالماً أكبر.

### تفاؤل القفال

تميز رد القفال بما فيه من أمل وتفاؤل على الرغم من سوداوية الواقع، وفي هذا شد للعرائم، وحث على التحلي بالصبر لاجتياز الأزمات، وكان مؤمناً بقدرة المسلمين على استعادة أمجادهم لما انمازوا به عن عدوهم، كما يتضح من قوله:

فَأَنْتُمْ عَلَى خُسْرٍ وَإِنْ عَادَ بُرْهَةٌ

إِلَيْكُمْ حَوَاشِيهَا لَغْفَلَةٌ قَائِمٌ

ونحن على فضلٍ بما في أكفّنا

وفخر إليكم بالأصول الجسائم  
فالروم وإن حققوا نصراً مؤقتاً كما يفهم من اسم المرة (غفلة) إلا أن الغلبة ستكون في نهاية الأمر للمسلمين، لما يتمتعون به من قوة ما زالت فيهم، واستعان القفال بالمقابلة لما فيها من قدرة على إبراز

القسطنطينية ينال معنوياً من خصمه الذي يهدد باسترداد بيت المقدس. إذ يبرز إصرار المسلمين على استمرار الجهاد، وتحقيق الحلم الذي سعى إليه الخلفاء والقادة منذ أن سمعوا البشارة النبوية بفتحها.

وسعى إلى تحطيم روحه المعنوية لخصمه، في قوله: هناك ترى نقفوراً والله قادرٌ

يُنَادِي عليه قائماً في المقاسم بتصويره حال نقفور بعد تحقق الحلم، مبيحاً لخياله أن يتجاوز الواقع الذي تميّز بسوداويته.

متكئاً على المقابلة ليرسم الصورة (المليئة بالسخرية) المتخيلة لنقفور بعد الهزيمة، بتصويره بصورة العبد الذليل يُنادي عليه في الأسواق، شأنه شأن أي أسير آخر، ولذلك جاء قوله (ترى) ليعبر عن تيقنه من تحقق هذا الأمر الذي لم يعد مجرد حلم. ويرسم القفال هذه الصورة المتخيلة لتكافئ الصورة الحالية لنقفور الإمبراطور الذي لا يعرف إلا التهديد، المغتر بقوته وضعف خصمه، ولعله يريد بهذا التصوير إعادة التوازن إلى نفسه، ويكشف عن رغبته في التخفيف من وطأة الحاضر ومأساويته، لذا رنا ببصره نحو الصورة المتخيلة. كما أنه لا يغفل عن أهمية الدعم الإلهي الذي لولاه لا يمكن لهذا الإنجاز أن يتحقق؛ لذا جاء بالاحتراس المبني على الجملة الاسمية "والله قادر" ليؤكد هذا المعنى. وأكد قوله:

سيجري بنا والله كاف وعاصمٌ

لنا خيرٌ وافٍ للعباد وعاصمٌ أنهم يستمدون العون من الله- سبحانه وتعالى- وأنهم يعدون القوة، ويأخذون بالأسباب؛ لذا تتالت الجملة الاسمية- في بيته السابق- للدلالة على ثقته بأن الله لن يخيب رجاءهم.

واسترسل القفال في رسم الصورة المتخيلة للنصر، وما يتبعه من إنجازات في قوله:

ويجري لنا في الروم طراً وأهلها وأموالها جَمْعاً سِهَامُ المغانم بتسليطه الضوء على الغنائم التي سيكسبها المسلمون من الروم، وبتصويرهم باتوا نهباً للمسلمين. وتتوالى الصور المتقابلة في قوله:

فيضحك منا سنٌ جذلان باسم ويُقرعُ منه سنٌ خزيان نادم لتتم جوانب الصورة المتخيلة للنصر، وذلك بتسليطه الضوء على مشاعر الفرح في ديار المسلمين المتمثلة في قوله (يضحك وباسم) وتارة بتسليط الضوء على وجوه الروم بعد الهزيمة حيث الحزن، والإحساس بالندم بعد فوات الأوان، وذلك بتصويره الروم يقرعون سنهم ندماً، لأنهم هم الذين بادروا المسلمين بالعداوة.

### عرض الصلح

اختتم القفال قصيدته بتخيير نقفور بين ما أراده من مهاجمة ديار المسلمين، أو قبول الصلح في قوله:

فإن تُعرضوا فالحقُّ أبلغ واضحٌ

معامله مشهورةٌ كالمعالم

وقوله:

وإن تُسلموا فالسُّلمُ فيه سلامةٌ

وأهناً عيشٌ للفتى عيشٌ سالم مراوفاً بين الجمل الفعلية والاسمية في بيته الأول، فهو لا يدرى إن كان نقفور ومن معه سيستجيبون لدعوته، أو سينفذون وعيدهم، ولذا جاء بالفعل المضارع (تعرضوا) الدال على التجدد وعدم الثبات، أما الجملة الاسمية (فالحق أبلغ) فقد عبر بها عن ثقته بأنهم أصحاب الحق؛ لذا هم مستعدون للدفاع عن حقهم، ومع أن حقهم واضح إلا أنه شبهه بالمعلم البارز الواضح ليزيد في تقوية حقهم، ولعله أراد بهذا، الإيحاء إلى نقفور: أن من كان هذا شأن حقه فلن يقصّر في الدفاع عنه، واجتماع ألفاظ (تسلموا

وأما من الناحية الفنية، فالقفال هجم على الموضوع مباشرة دونما مقدمة؛ فقد كان في أوج انفعاله، لما أحدثته رسالة نقفور من أسوأ الأثر في نفوس المسلمين. واتسمت قصيدته بوحدة الموضوع؛ فهي من بدايتها إلى خاتمتها تصف صراع المسلمين مع الروم.

واتكأت القصيدة على المتضادات في جوانب عدة. فصوّرت زمنين متناقضين، أحدهما مُغَيَّب تُستنتج ملامحه من ثنايا النص، يمثل الماضي السعيد للمسلمين في مقابل الحاضر المعن في السوداوية، لأنه يطغى عليه الذل والهزيمة والاستباحة للإنسان والمكان، والقفال والمسلمون والخليفة يبدون عاجزين عن فعل أي شيء إزاء ذلك، مما يؤسس لحالة من التوتر والقلق عاشها القفال تركت أثرها واضحاً في ثنايا النص، وبما أن القفال يمثل في قصيدته هذه الإنسان المأزوم والمهزوم، لذا لم يجد بداً من الافتخار بإنجازات الماضي، وتفخيم بعض إنجازات الحاضر، والتقليل من شأن خصمه وتهديده. كما احتال على الواقع الذي حاول جاهداً الانفكاك من إيساره، والبحث في أعماقه عن بارقة أمل، تخفف من وطأة الحاضر وثقله، فلجأ إلى الحلم، لإقامة عالم متخيل مناقض للواقع.

### الهوامش

- (1) ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت ط 3، 1987، (11 / 260).
- (2) السابق، الصفحة نفسها.
- (3) السابق، الصفحة نفسها.
- (4) السبكي، تاج الدين، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ط 1، 1965، (3 / 204-205).
- (5) انظر تحليل قصيدة ابن حزم، الخزعلي، محمد، رد متأخر: دراسة مقارنة بين قصيدة نقفور فوقاس وقصيدة ابن حزم، مجلة جامعة البعث، م 26، ع 4، 2004.
- (6) ابن كثير، البداية والنهاية، 11 / 260.

والسلم وسلامة وسالم) في بيته السابق يكشف عن رغبته الحقيقة في السلم، وعدم سعيه إلى الحرب. وأتبع عرضه هذا بالاحتكام إلى قوة السلاح؛ خشية أن يظن نقفور أن عرضه للسلم جاء من باب الخوف، أو التوجس من عدم القدرة على الدفاع عن حقهم، كما اتضح من قوله:

تعالوا نحاكمكم ليحكم بيننا

إلى السيف إن السيف أعدل حاكم  
وجاء التذييل بالجملة الاسمية (إن السيف) لتقوية المعنى وتقديره في ذهن المخاطب، وفي الوقت نفسه أضفى على السيف صفات الكائن الحي عندما شبهه بالقاضي العادل يحكم بين المتخاصمين، وبما أن المسلمين أصحاب الحق فسيكون الحكم لصالحهم. وبعد هذا التهريب جاء عرضه للسلم لعلهم يتوقفون عن تنفيذ تهديدهم، وجاءت صيغة التفضيل (أهنأ) لتصور مقدار الراحة والرضى التي سينعم بها من اختار السلم، وكفّ أذاه عن غيره. وعبر بالجملة الفعلية (وإن تسلموا) عن الأمر المتوقع حدوثه، وبالجملة الاسمية (فالسلم فيه سلامة) عن النتيجة المتحققة لاختيارهم السلم.

### الخاتمة

تعد قصيدة القفال نموذجاً لشعر الصراع مع الروم في العصر العباسي، إذ اتسمت بكثير من السمات الموضوعية والفنية لذلك الشعر<sup>(31)</sup>، فمن الناحية الموضوعية بدا جلياً اهتمام القفال بتصوير انتصارات المسلمين، والتقليل من شأن الروم وخطرهم، بما يملكه المسلمون من جيوش جرارة في مختلف بلاد المسلمين، وهم جاءت لنصرة المسلمين من خراسان وبلاد ما وراء النهر. كما دافع القفال -شأنه شأن شعراء القرن الرابع الهجري- عن رمز بطولتهم سيف الدولة، وآمن بأن الظفر سيكون في النهاية للعرب.

الدين ، المطول على التلخيص، مطبعة أحمد كامل بايزيد، استانبول 1910، (226).  
(30) ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1995، (1/250) رقم الحديث: 13465.  
(31) عبد الرحمن، نصرت، شعر الصراع مع الروم، (291-294).

## المصادر والمراجع

### المصادر:

ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1987.  
ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وأخري، دار الكتب العلمية، بيروت ط 3، 1987.  
ابن منظور، لسان العرب، السبكي، تاج الدين ، طبقات الشافعية، تحقيق محمود محمد الطناجي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ط 1 1965.  
المراجع العربية:  
السيد، محمود، تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006.  
الشكعة، مصطفى، سيف الدولة الحمداني، دار القلم، القاهرة 1959.  
عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 4 1982.  
عباس، إحسان، شذرات من كتب مفقودة التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2 1988.  
العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت 1982.  
عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية / العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12-13م، (67).  
(19) السيد، محمود، تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006، (84).  
(20) السابق، الصفحة نفسها.  
(21) عباس، إحسان، شذرات من كتب مفقودة التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2 1988، (2/463).  
(22) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 4 1982، (1/29).  
(23) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (7/273).  
(24) السابق، (7/287).  
(25) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد بن فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ط 1 1954م (رقم الحديث: 1731).  
(26) السابق، (رقم الحديث: 1037).  
(27) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (7/320).  
(28) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980، (8/27).  
(29) الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دارالكتب العلمية، بيروت ط 3، 1988، (109). و التفتازاني، سعد

(7) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية، 205.  
(8) عبد الرحمن، نصرت ، شعر الصراع مع الروم، مكتبة الأقي، عمان ط 1 1977، (291-294).  
(9) المنجد، صلاح الدين، قصيدة امبراطور الروم نفقور فوقاس في هجاء الإسلام والمسلمين، وقصيدتا الإمامين القفال الشاشي وابن حزم الأندلسي في الرد عليه، دارالكتاب الجديد، بيروت ط 1 1982، (11).  
(10) Christian-Muslim Relations. A Bibliographical History. General Editor David Thomas. Brill Online. 2013.  
(11) قطب، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق، بيروت 1997، (3/1618) .  
(12) ابن منظور، لسان العرب، مادة (دنس).  
(13) العهد القديم والعهد الجديد، إنجيل متى، الإصحاح، (9).  
(14) السابق، إنجيل متى، الإصحاح، (5، 24)..  
(15) الشكعة، مصطفى، سيف الدولة الحمداني، دار القلم، القاهرة 1959، (140).  
(16) العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت 1982، (471).  
(17) السابق، 471.  
(18) عوض، محمد مؤنس ، الحروب الصليبية / العلاقات بين الشرق والغرب في القرنين 12-13م، (67).  
(19) السيد، محمود، تاريخ الحروب الصليبية في مصر والشام، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2006، (84).  
(20) السابق، الصفحة نفسها.  
(21) عباس، إحسان، شذرات من كتب مفقودة التاريخ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2 1988، (2/463).  
(22) عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ط 4 1982، (1/29).  
(23) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (7/273).  
(24) السابق، (7/287).  
(25) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد بن فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ط 1 1954م (رقم الحديث: 1731).  
(26) السابق، (رقم الحديث: 1037).  
(27) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (7/320).  
(28) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1980، (8/27).  
(29) الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، دارالكتب العلمية، بيروت ط 3، 1988، (109). و التفتازاني، سعد

عبد الرحمن، نصرت ، شعر الصراع مع الروم، مكتبة الأقصى، عمان ط 1 1977 .

قطب، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق، بيروت 1997.

المنجد، صلاح الدين، قصيدة اميراطور الروم نقفور فوقاس في هجاء الإسلام والمسلمين، وقصيدتا الإمامين القفال الشاشي وابن حزم الأندلسي في الردّ عليه، دارالكتاب الجديد، بيروت ط 1 1982 .  
الدوريات:

الخرزلي، محمد، رد متأخر: دراسة مقارنة بين قصيدة نقفور فوقاس وقصيدة ابن حزم، مجلة جامعة البعث، م26، ع 4، 2004.

المراجع الأجنبية:

Christian-Muslim Relations.A Bibliographical History. General Editor .David Thomas. Brill Online. 2013  
Morris. R. The Two Faces of NikephorosPhokas. BMGS. 1988

الملاحق  
ملحق (1)  
قصيدة امبراطور الروم  
نقفور فوقاس

إلى خَلَف الأَخْلَافِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ  
وَمَنْ يُرْتَجَى لِلْمُعْضَلَاتِ الْعِظَائِمِ  
ولكن دهاك الوهن عن فعل حازم  
فإنِّي عَمَّا هَمَّنِي غَيْرُ نَائِمٍ  
وَضَعُفُكُمْ، إِلَّا رِسُومَ الْعَالَمِ  
بِفَتْيَانِ صَدَقَ كَالِليوثِ الضَّرَاغِمِ  
وتبْلُغُ مِنْهَا قَضَمَهَا لِلشَّكَايِمِ  
إلى جُنْدٍ قَنَسَرِينَكُمْ فَالْعَوَاصِمِ  
وفي البحر أضعاف الفتوح القَوَاصِمِ  
وكَيْسُومٍ بعد الجعفري للمعالمِ  
فصاروا لنا من بين عبْدٍ وخادمِ  
لنا رُتْبَةً تَعْلُوا على كُلِّ قائِمِ  
بمَنْدِيلِ مولى علا عن وصف آدمي  
ببيض، غزوناها بضَرْبِ الْجَمِجِمِ  
أَذَقْنَاهُمْ بِالْخَيْلِ طَعْمَ الْعَلاَقِمِ  
على ظَهرِ بَحْرِ مُزْبِدٍ مُتَلاطِمِ  
نَوَاتِ الشَّعُورِ الْمُسْبِلَاتِ الْفَوَاحِمِ  
نعم، وأبَدْنَا كُلَّ طَاغٍ وَظَالِمِ  
فَسُكَّانِهِ نَهَبُ النُّسُورِ الْقَشَاعِمِ  
وهَدَمْنَا مِنْهَا سَوْرَهَا كُلُّ هَادِمِ  
وصَبِيَانَهُمْ مِثْلَ الْمَمَالِيكِ خَادِمِ  
ونَاصِرُكُمْ، مَنَّا على رَغَمِ رَاغِمِ  
أَذَقْنَاهُمْ فِيهَا بَحْرَ الْحَلَاقِمِ  
مُنْعَمَةَ الْأَطْرَافِ، رِيَا الْمَعَاصِمِ  
بغَيْرِ مُهَوَّرٍ، لَا، وَلَا حُكْمَ حَاكِمِ  
يُصَبُّ دَمًا بَيْنَ اللَّهِ وَاللَّهَازِمِ  
وسَقْنَاهُمْ قَسْرًا كَسُوقَ الْبَهَائِمِ  
مُدَوَّخَةً تَحْتَ الْعَجَاجِ السَّوَاهِمِ

من الملك الطُّهْرُ الْمَسِيحِي مَأْلَكٌ  
إلى الملك الفضلِ المطيعِ أَخِي الْعَلَا  
أما سمعت أذنك ما أنا صانع  
فإنْ تَكُ عَمَّا قَدْ تَقَلَّدْتَ نَائِمًا  
ثَغُورُكُمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا - لَوْنُهَا  
فَتَحْنَا الثَّغُورَ الْأَرْمَنِيَّةَ كُلَّهَا  
وَنَحْنُ جَلَبْنَا الْخَيْلَ تَعْلُكَ لُجْمَهَا  
إلى كُلِّ ثَغْرِ بِالْجَزِيرَةِ أَهْلِ  
مَلَطِيَّةٍ مع سُمَيْسَاطٍ من بعد كركر  
وبالْحَدَثِ الْحَمْرَاءِ جَالَتْ عَسَاكِرِي  
وَمَرْعَشُ أَذَلَّلْنَا أَعَزَّةَ أَهْلِهَا  
وَسَلَّ بِسُرُوجٍ إِذْ خَرَجْنَا بِجَمْعِنَا  
وَأَهْلُ الرُّهَا لَانُوا بِنَا وَتَحَزَّمُوا  
وَصَبَّحَ رَأْسَ الْعَيْنِ مَنَا بِطَارِقِ  
وَدَارًا، وَمِيَا فَارِقِينَ وَأَرْزَنَا  
وَأَقْرِيطَشُ قَدْ جَازَتْ إِلَيْهَا مَرَكَبِي  
فَحَزَّتْهُمْ أَسْرَى، وَسَيَقَتْ نَسَاؤُهُمْ  
هَنَّاكَ فَتَحْنَا عَيْنَ زَرْبَةِ عَنُوءِ  
نَعَم، وَفَتَحْنَا كُلَّ حَصْنٍ مُمَنِّعٍ  
إلى حَلَبٍ، حَتَّى اسْتَبَحْنَا حَرِيمَهَا  
أَخَذْنَا النِّسَاءَ، ثُمَّ الْبَنَاتِ نَسَوَقَهُمْ  
وَقَدْ فَرَعْنَهَا سَيْفَ دَوْلَةِ دِينَكُمْ  
وَمَلْنَا عَلَى طَرَسُوسَ مَيْلَةَ حَازِمِ  
فَكَمْ ذَاتِ خَدْرِ حُرَّةٍ عَلَوِيَّةٍ  
سَبَيْنَا فَسَقْنَا خَاضَعَاتِ حَوَاسِرَا  
وَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ قَدْ تَرَكْنَا مُجْنَدَلَا  
وَكَمْ وَقْعَةً فِي الدَّرْبِ أَفْنَتْ كَمَا تَكَمْ  
وَمَلْنَا إِلَى أَرْتَاحِكُمْ وَحَرِيمُهَا



فأهوت أعاليها، وبُدِّلَ رُسْمُهَا  
 إذا صاح فيها اليوم جاوبه الصدى  
 وأنطاك لم تبعد عليّ وإنني  
 ومسكن أبائي بمشقّ فإنني  
 ومضّر سأفتحها بسيفي عنوةً  
 وأجزّي كافوراً بما يستحقّه  
 ألا شمّروا يا أهل حمدان شمّروا  
 فإن تهربوا تنجوا كراماً وتسلموا  
 كذلك نصيبين وموصلها إلى  
 سأفتح سامراً، وكوثي، وعكبرا  
 وأقتل أهليها الرجال بأسرها  
 ألا شمّروا يا أهل بغداد ويلكم  
 رضيتم بحكم الديلمي ورفضه  
 ويا قاطني الرملات، ويلكم ارجعوا  
 وعودوا إلى أرض الحجاز أدلةً  
 سألقي جيوشاً نحو بغداد سائراً  
 وأحرق أعلاها وأهدم سورها  
 وأحرز أموالاً بها وأسيرةً  
 وأسري بجيشي نحو الأهواز مسرعاً  
 وأشعلها نهباً، وأهدم قصورها  
 ومنها إلى شيراز والري فاعلموا  
 إلى شاش، بلخ بعدها وخواتها  
 وسابور أهدمها وأهدم حصونها  
 وكرمّان، لا أنسى سجستان كلّها  
 أسير بجندي نحو بصرتها التي  
 إلي واسط وسط العراق وكوفة  
 وأخرج منها نحو مكة مسرعاً  
 فأملكها دهرًا عزيزاً مسلماً  
 وأحوي نجداً كلّها وتهامها  
 وأغزو يماناً كلّها وزبيدها  
 فأتركها أيضاً خراباً بلاقعاً  
 وأحوي أموال اليمانيين كلّها  
 أعود إلى القدس التي شرفت بنا

من الأنس وحشاً بعد بيض نواجم  
 وأتبعه في الربع نوح الحمام  
 سأفتحها يوماً بهتك المحارم  
 سأرجع فيها ملكنّا تحت خاتمي  
 وأحرز أموالاً بها في غنائمي  
 بمشط ومقراض ومصّ المحاجم  
 أتتكم جيوش الروم مثل الغمام  
 من الملك الصادي بقتل المسالم  
 جزيرة آبائي ومُلك الأقدام  
 وتكريتها مع ماردين العواصم  
 وأغنم أموالاً بها وحرائم  
 فكلّكم مستضعف غير رائم  
 فصرتُم عبداً للعبيد الديالم  
 إلى أرض صنعاكُم وأرض التّهائم  
 وخلّوا بلاد الروم أهل المكارم  
 إلى باب طاق حيث دار القماقم  
 وأسبي نرايها على رُغم راغم  
 وأقتل من فيها بسيف النقائم  
 لإحراز ديباج وخز السواسم  
 وأسبي نرايها كفعل الأقدام  
 خراسان قصدي بالجيوش الصوامم  
 وفرغانة مع مروها والمخازم  
 وأوردها يوماً كيوم السمائم  
 وكابلها النائي وملك الأعاجم  
 لها بحر عجاج رائع مُتلازم  
 كما كان يوماً جندنا ذو العزائم  
 أجرّ جيوشاً كالليالي السواجم  
 أقيم بها للحق كُرسى عالم  
 وسراً، وأتهام مذحج وقحاطم  
 وصنعاءها مع صعدة والتّهائم  
 خلّاء من الأهلين أهل النعائم  
 وما جمع القرماط يوم محارم  
 بعزّ مكين ثابت الأصل قائم

وأعلو سريري للسجود معظماً  
هنالك تخلو الأرض من كل مسلم  
نُصرنا عليكم حين جارت ولا تُكُم  
قُضاتُكم باعوا القضاء بدينهم  
عدو لكم بالزور يشهد ظاهراً  
سأفتح أرض الله شرقاً ومغرباً  
فعيسى علأ فوق السموات عرشه  
وصاحبكم بالترب أودى به الثرى  
تناولتم أصحابه بعد موته

وتبقى ملوك الأرض مثل الخوايم  
لكل نقي الدين - أغلف زاعم  
وأعلنتمو بالمنكرات العظام  
كبيع ابن يعقوب ببخس الدراهم  
وبالإفك والبرطيل مع كل قائم  
وأشردينا للصليب بصارمي  
يفوز الذي والاه يوم التخاصم  
فصار رفاتاً بين تلك الرمائم  
بسب وقذف وانتهاك المحارم

## ملحق (2)

### قصيدة القفال الشاشي

أتاني مقال لأمري غير عالم  
تخرص ألقاباً له جد كاذب  
وأفرط إرعاداً بما لا يطيقه  
تسمى بطهر وهو أنجس مشرك  
وقال مسيحي وليس كذاكم  
وليس مسيحياً جهولاً مثلاً  
وما الملك الطهر المسيحي غادراً  
تثبت هداك الله إن كنت طالباً  
ولا تتكبر بالذي أنت لم تنل  
تعدد أياماً أنت لوقوعها  
سبقت بها دهرأ وأنت تعددا  
وما قدر ارتاح ودارا فيذكرا  
وما الفخر في ركض على أهل غرة  
وهل نلت إلا صقع طرسوس بعد أن  
ومصيبة بالغدر قتلت أهلها  
ترى نحن لم نوقع بكم وبلادكم  
مئين ثلاثاً من سنين تتابعث  
ولم تفتح الأقطار شرقاً ومغرباً  
أذكر هذا أم فؤادك هائم  
ومن شر يوم للفتى هيمانه  
ولو كان حقاً كل ما قلت لم يكن  
فمنكم أخذنا كل ما قد أخذتم

بطرق مجاري القول عند التخضم  
وعدد آثارا له جد واهم  
وأدلى ببرهان له غير لازم  
مدنسة أثوابه بالمداسم  
أخو قسوة لا يحتذى فعل راحم  
يقول لعيسى جل عن وصف آدم  
ولا فاجراً ركانة للمظالم  
لحق فليس الخبط فعل المقاسم  
كلابس ثوب الزور وسط المقاوم  
سينون مضت من دهرنا المتقام  
لنفسك لا ترضى بشرك المساهم  
فخاراً إذا عدت مساعي القمام  
وهل ذاك إلا من مخافة هازم  
تسلمتها من أهلها كالمسالمة  
وذلك في الأديان إحدى العظام  
وقائع يثنى ذكرها في المواسم  
ندوس الذرى من هامكم بالمناسم  
فتوحاً تناهت في جميع الأقاليم  
فليس بناس كل ذا غير هائم  
فيا هائماً بل نائماً شراً نائم  
علينا لكم فضل وفخر مكارم  
وأضعاف أضعاف له بالصمام

فطرتم من السمات طرد النعائم  
 أدلهم عن حنفيه كل حاطم  
 بكم لم تنالوا أمن تلك المجائم  
 إليكم حواشيها لغلة قائم  
 وفخر عليكم بالأصول الجسائم  
 لرد خوافي الريش تحت القوادم  
 لكم ألف ألف من إمء وخادم  
 ظفرتكم فكنتم قذوة للألائم  
 وبيعهم أحكامهم بالدراهم  
 وأننا ظلمنا فابتلينا بظالم  
 وتلك أمان ساقها حلم حالم  
 لدين صليب فهو أخبث رائم  
 فذاك حمار وسمه في الخراطم  
 فيرجوه نقفور لمحو المآثم  
 غذته كما قد غذيت بالمطاعم  
 فخالق عيسى وهو محيي الرماثم  
 كما زعموا أكذب به قول زاعم  
 وبشري بات بعد للرسل خاتم  
 أتاهم به من حملة غير كاتم  
 بحيث إذا يدعى به في التكاليم  
 وهل حاجة إلا لعبد وخادم  
 فأسوة كل الأنبياء الأعظم  
 يموت له كالرسل من آل آدم  
 وفاة بصلب وأرتكاب صيالم  
 يجز بها نحو الصليب ولاطم  
 شدائد من أسر وجز جماجم  
 من القتل طعماً مثل طعم العلاقم  
 أكارم عند الله نجل أكارم  
 قضاياهم من ذلك وصمة ناظم  
 جواباً لما أبداه من نظم ناظم  
 أو ارتد منهم حشوة كالبهائم  
 وصين وأترك الرجال الأعاجم  
 وأشياخه أهل النهى والعوائم

طردناكم قهراً إلى أرض رومكم  
 لجأتكم إليها كالقنافذ جئتما  
 ولولا وصايا للنبي محمد  
 فأنتم على خس وإن عاد برهة  
 ونحن على فضل بما في أكفنا  
 ونرجو وشيكاً أن يسهل ربنا  
 وعظمت من أمر النساء وعندنا  
 ولكن كرمنا إن ظفرنا وأنتم  
 وقلت ملكناكم بجور قضاتكم  
 وفي ذاك إقرار بصحة ديننا  
 وعددت بلداناً تريد افتتاحها  
 ومن رام فتح الشرق والغرب ناشراً  
 ومن دان للصليبان يبغي به الهدى  
 وليس ولياً للمسيح مثلاً  
 وعيسى رسول الله مولود مريم  
 وأما الذي فوق السماوات عرشه  
 وما يوسف النجار بعلماً لمريم  
 وإنجيلهم فيه بيان لقولنا  
 وسماء بارقليط يأتي بكشف ما  
 وكان يسمى بابن داود فيهم  
 وهل أمسك المنديل إلا لحاجة  
 وإن كان قد مات النبي محمد  
 وعيسى له في الموت وقت مؤجل  
 فإن دفعوا هذا فقد عجلوا له  
 صيالم من إكليل شوك وأحبل  
 وإن يك أولاد لأحمد جرعو  
 فعيسى على ما تزعمون مجرّع  
 ويحيى وزكريا وخلق سواهما  
 تولتهم أيدي الطغاة فلم تنل  
 فمن مبلغ نقفور عني مقالتي  
 لئن كان بعض العرب طارت قلوبهم  
 لقد أسلمت بالشرق هند وسندها  
 بتدبير منصور بن نوح وجنده

وإن تك بغداد أُصِيبَتْ بِمَلَكِهَا  
فَلَحِقَ أَنْصَارُ اللَّهِ صَفْوَةً  
فَمِنْ عَرَبٍ غُلِبَ مَلُوكُ بَغَالِبِ  
فَبِالْدِينِ مِنْهُمْ قَائِمٌ أَيُّ قَائِمٍ  
جَزَى اللَّهَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْخَيْرَ بَاقِيًا  
وَأَلْبَسَ مَنْصُورُ بْنُ نُوحٍ سَلَامَةً  
هَمَّا أَمْنَا الْإِسْلَامَ مِنْ كُلِّ هَاضِمٍ  
وَمَنْ مَبْلُغٌ نَقْفُورٍ عَنِّي نَصِيحَةً  
أَتَتْكَ خِرَاسَانٌ تَجَرُّ خِيُولَهَا  
كَهَوْلٍ وَشُبَّانٌ حُمَاةٌ أَحَامِسُ  
غَزَاةٌ شَرَوْا أَرْوَاحَهُمْ مِنْ إِيَّاهُمْ  
فَإِنْ تَعَرَّضُوا فَالْحَقُّ أَبْلَجٌ وَاضِحٌ  
تَعَالَوْا نَحَاكُمُكُمْ لِيَحْكُمَ بَيْنَنَا  
سَيَجْرِي بِنَا وَاللَّهُ كَافٌ وَعَاصِمٌ  
وَنَرْجُو بِفَضْلِ اللَّهِ فَتْحًا مُعْجَلًا  
هَنَّاكَ تَرَى نَقْفُورَ اللَّهِ قَادِرٌ  
وَيَجْرِي لَنَا فِي الرُّومِ طُرّاً وَأَهْلَهَا  
فِيضْحِكُ مَنَا سِنَّ جَذْلَانِ بِاسْمِ  
وَإِنْ تُسَلِّمُوا فَالسَّلَامُ فِيهِ سَلَامَةٌ

وَصَارَتْ عَبِيداً لِلْعَبِيدِ الدِّيَالِمِ  
يَذُودُونَ عَنْهُ بِالسَّيُوفِ الصَّوَارِمِ  
وَمِنْ عَجَمٍ صَيِدَ مَلُوكُ بَهَازِمِ  
وَلِلْمُلُكِ مِنْهُمْ هَاشِمٌ أَيُّ هَاشِمِ  
وَأَكْرَمَهُ بِالْفَاضِلَاتِ الْكَرَائِمِ  
تَدُومُ لَهُ مَا عَاشَ أَذُومٌ دَائِمِ  
وَصَانَا بِنَاءَ الدِّينِ مِنْ كُلِّ هَادِمِ  
بِتَقْدِيمَةِ قُدَّامِ عَضِّ الْأَبَاهِمِ  
مُسُومَةً مِثْلَ الْجِرَادِ السَّوَاتِمِ  
مِيَامِنِ فِي الْهَيْجَاءِ غَيْرِ مِشَائِمِ  
بِجَنَاتِهِ وَاللَّهُ أَوْفَى مَسَاوِمِ  
مَعَالِمِهِ مَشْهُورَةٌ كَالْمَعَالِمِ  
إِلَى السَّيْفِ إِنْ السَّيْفُ أَعْدَلُ حَاكِمِ  
لَنَا خَيْرٌ وَافٍ لِلْعِبَادِ وَعَاصِمِ  
نُنَالُ بِقِسْطِنَاطِينَ ذَاتِ الْمَحَارِمِ  
يُنَادِي عَلَيْهِ قَائِمًا فِي الْمَقَاسِمِ  
وَأَمْوَالَهَا جَمْعًا سَهَامُ الْمَغَانِمِ  
وَيُقْرِعُ مِنْهُ سِنَّ خَزْيَانِ نَادِمِ  
وَأَهْنَأُ عَيْشٍ لِلْفَتَى عَيْشُ سَالِمِ